هكذا تحدث
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله



سليمان بن صالح الخراشي

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

هكذا تحدث الشيخ
محمد بن عبد الوهاب
رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هكذا تحدث

الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

سليمان بن صالح الخراشي

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

الإدارة: الكويت - الجهراء - هاتف: ٠٠٩٦٥٩٦٩٩٩١٨٢
فرع الجهراء: مجمع الخير - الدور الاول - مكتب ١٠ - هاتف: ٢٤٥٥٧٥٥٩
فرع حولي: شارع المثنى - بجوار مجمع البدري هاتف: ٢٢٦٤١٧٩٧

(دار وقفيّة دعويّة)
المدير العام: د/ فرحان بن عبيد الشمري
falaslmi@gmail.com

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإنه منذ أن جهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدعوة التوحيد وسط مجتمعٍ يعج بالجهل والبدع والانحرافات العقدية؛ بسبب عدم اهتمام علمائه ومَن تبعهم من العوام بتوحيد العبادة، وأصداء دعوته لا زالت تتردد إلى اليوم؛ ينقسم الناس

حولها قسمين: مؤيد موافق، ومناوئ مخالف.

أما المناوئون؛ فعلى رأسهم: أعداء الإسلام الأصليين، من الكفار: اليهود والنصارى وغيرهم، ممن قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠]، فهم يُعادون الدعوة السلفية ويُنفرّون عنها، بحملاتهم الإعلامية العالمية المتكررة؛ لعلمهم أنها هي الدعوة التي تُمثل الإسلام الصحيح، الذي جاء بنسخ أديانهم المحرّفة، والهيمنة عليها، وتقويض مشاريعهم وأطماعهم، ولذا فهي بالنسبة لهم: العدو الأول.

ومن المناوئين: أهل البدع المخالفين للسنة؛ وعلى رأسهم: الشيعة بطوائفهم، والصوفية الأشاعرة، فهم يُعادون الدعوة السلفية، ويُنفّرون عنها بالأكاذيب والشبهات؛ لأجل محاربتها لبدعهم وقبورياتهم وشركياتهم. وهؤلاء لا حيلة فيهم إلا بأن يُعرض الحق أمامهم، ويُجاب عن شبهاتهم؛ كي لا يُضلّوا المسلمين، ولعله أن يهتديَ منهم من أراد الله له الهداية[1].

---

(١) ويلحق بهؤلاء - للأسف - : أناس يُمكن أن يوصفوا بأنهم (مرضى قلوب)؛ لأنهم عادَوا دعوة الشيخ السلفية، وهم يعلمون أنها تُمثل الإسلام الحق ، لمقاصد دنيئة . وبالتأمل تجدهم قسمين:

=

=

١- أفرادٌ ينتسبون لأهل السنة، بعضهم طلبة علم!، لكنهم ابتُلوا بالعصبية الجاهلية، إما لبلدانهم، أو قبائلهم ، أو أُسَرهم التي سبق أن حدثت بينها وبين جيوش الدولة السعودية صراعات متوقعَة ، في مرحلة تاريخية حاسمة، أورثت هذه الوحدة التي نعيشها، وننعم بها، لم ينسها هؤلاء! كما قال الشاعر:

وقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا

فمثلهم لا يجهلون الحق، ولكنهم أصحاب جاهلية أثرت فيهم، حتى صرفت بعضهم عن الحق نكايةً بأهله، أو ثأرًا، أو حميّةً جاهلية!

وعلاج هؤلاء يكون بتذكيرهم بمبدأ الولاء والبراء، وحال مَن قال الله عنهم : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأنهم بمجافاتهم للدعوة السلفية ، وتكثيرهم لسواد أعدائها ؛ لن يضروا إلا أنفسهم ؛ لأن الدعوة ماضية ، لا يضرها مَن خذلها. مع أهمية تفنيد شبهاتهم؛ كي لا يؤثروا في غيرهم ممن لا يعلم مقاصدهم، ومنطلقاتهم، هداهم الله وردهم .

٢- أفرادٌ ينتسبون لأهل السنة، ثوريون، عمّروا أوقاتهم بمنازعة ولاة أمر هذه البلاد، حتى إذا ما غُلبوا على أمرهم، انقلبوا ناقمين على دعوة الشيخ السلفية؛ لأنها - بزعمهم - هي مَن أعطت المسوّغ الشرعي لولاة الأمر! فهم عادَوها، وأجلبوا عليها، نكايةً في الدولة السعودية. فتأمل خفة الديانة والعقول.

وأما الموافقون لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، فهم جميع المسلمين الذين لم تفسد فطرتهم بالبدع والخرافات، وهم الأكثر - ولله الحمد والمنة -، ولكن قد يوجد فيهم مَن تأثر بحملات أعداء الدعوة، أو مرضى القلوب[1]، في هذه المسألة أو تلك، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧]. فلابد من تعريفهم كذب الأعداء، والإجابة عما علق بقلوبهم من الشبهات والظنون، ومثلهم يؤوب غالبًا للحق؛ لأنهم لا مقصد لهم غير طلبه، وهؤلاء هم الهدف الأساس لكتابي هذا.

وقد رأيت أن خيرَ ما أُقدمه لهم هو هذا الكتاب الذي جمعته من أقوال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل عديدة متنوعة، لا تزال تُثار، وتُشغل أذهان بعض المعاصرين؛ كي يطلعوا على حقيقة الدعوة من مصدرٍ عالٍ موثوق، لا من أقوال المخالفين، أو تصرفات المتحمسين أو الجهلة.

فهذا الكتاب كما قيل: (اقصد البحر وخلِّ القنوات)، وقد جعلته على هيئة سؤالٍ علمي، وجوابٍ من كلام الشيخ محمد، كاللقاء الصحفي معه، ليكون أوضح وأنسب للمعاصرين.

---

(١) لا سيما بعد ما يُسمى أحداث ١١ سبتمبر.

ثم أَتبعتُ اللقاء بمُلحقٍ فيه:

١- تنبيهان مهمان: أولهما عن أن أخطاء بعض أتباع الدعوة، لا يجوز إلحاقها بالشيخ ودعوته. وثانيهما عن أن لُب الدعوة السلفية هو: توحيد الله، وصرف جميع أنواع العبادة له؛ من الدعاء وغيره. وأن الشيخ يُكفر المشرك الذي يصرف العبادة لغير الله. والتنبيه إلى تلبيسٍ ماكر من مناوىء الدعوة السلفية في خلطهم بين التوسل البدعي غير المُكفِّر، والاستغاثة الشركية «دعاء الأموات». وتصويرهم المسألتين كشيءٍ واحد! ثم زعمهم أن الشيخ وعلماء الدعوة السلفية يُكفّرون المسلمين المتوسلين – هكذا بإطلاق –!

٢- حكم الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، على القبوريين الذين اختلط بهم في مصر، وعايشهم عن قُرب، وشاهد أفعالهم، وكان مُرشدًا رسميًا لتوعيتهم. وهو حكمٌ صادق، وافق فيه حكمَ علماء الدعوة السلفية عليهم، فلعله يكون مُقنِعًا لمن

(١) المتوفى سنة (١٤١٦ هـ)، وذلك من كتابه «عقيدة المسلم»، وقد أجاد فيه في تقرير توحيد الألوهية. مع التنبه إلى أن علماء السنة بينوا في مؤلفات عديدة مشهورة أخطاء الشيخ الغزالي في مسائل أخرى.

كان منهم، أو لا زال يحامي عنهم.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يوفق المسلمين جميعًا لما يُحب ويرضى.

والله الهادي..

كتبه / سليمان بن صالح الخراشي

Alkarashi1@hotmail.com

هكذا تحدث

الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

سليمان بن صالح الخراشي

السؤال (١): كثر الحديث عن عقيدتكم، فنأمل التكرم بذكر ماتعتقدون باختصار:

الجواب:

(أُشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم، أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة؛ من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أُحرِّف الكلِم عن مواضعه، ولا أُلحد في أسمائه وآياته، ولا أكيِّف، ولا أُمثِّل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى لا سميَّ له ولا كفؤ له، ولا ندَّ له، ولا يُقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً، فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

والفرقة الناجية وسطٌ في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية؛ وهم وسطٌ في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسطٌ في باب أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الروافض والخوارج.

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأومن بأن الله فعّال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خُط له في اللوح المسطور.

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت، فأؤمن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، تدنو منهم الشمس، وتُنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ

ﱡٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﱠ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣]، وتُنشر الدواوين، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله.

وأؤمن بحوض نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرصة القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأؤمن بأن الصراط منصوبٌ على شفير جهنم، يمر به الناس على قدر أعمالهم.

وأؤمن بشفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنه أول شافع وأول مُشفَّع، ولا يُنكر شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى؛ كما قال تعالى: ﱡوَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﱠ [الأنبياء:٢٨]، وقال تعالى: ﱡمَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﱠ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﱡوَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﱠ [النجم:٢٦]، وهو لا يرضى إلا التوحيد؛ ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب؛ كما قال تعالى: ﱡفَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﱠ [المدثر:٤٨].

وأؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان؛ وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما

يرون القمر ليلة البدر لا يُضامون في رؤيته.

وأؤمن بأن نبينا محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبدٍ حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، وأن أفضل أمته: أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وأتولى أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء.

وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً، ولا يُطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله. ولا أشهد لأحدٍ من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء.

ولا أُكفِّر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أُخرجه من دائرة

الإسلام. وأرى الجهاد ماضيًا مع كل إمام، بَراً كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يُبطله جور جائر، ولا عدل عادل. وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين، بَرهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله. ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة؛ وجبت طاعته؛ وحرُم الخروج عليه.

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأكل سرائرهم إلى الله، وأعتقد كلَّ محدثة في الدين بدعة.

وأعتقد أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجَنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو بِضعٌ وسبعون شُعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة.

فهذه عقيدةٌ وجيزةٌ حررتها وأنا مشتغل البال؛ لتطلعوا على ما عندي، والله على ما نقول وكيل)[١].

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٨-١١).

السؤال (٢): هل أنتم تُكفِّرون بالظن؟

الجـواب:

(من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقضٍ لا نُكفّره بـالظن؛ لأن اليقين لا يُرفع بالظن، وكذلك لا نُكفّر مـن لا نعـرف منـه الكفـر، بسبب ناقضٍ ذُكر عنه، ونحن لم نتحققه)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٢٤).

السؤال (٣): مَن هو الذي تكفرونه؟ وهل يشمل الجاهل الذي لم تُقم عليه الحجة؟

الجواب:

(مَن بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه ونفّر الناس عنه، وجاهد من صدّق الرسول فيه، ومن عرف الشرك وأن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث بإنكاره، وأقر بذلك ليلا ونهاراً، ثم مدحه وحسّنه للناس، وزعم أن أهله لا يخطئون؛ لأنهم السواد الأعظم!

وأما ما ذكر الأعداء عني أني أُكفِّر بالظن وبالموالاة، أو أكفِّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتانٌ عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله.

الأمر بقتال هؤلاء خاصة، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، فلما اشتهر عني هؤلاء الأربع؛ **صدقني من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد، وفي نفي الشرك**، وردوا عليَّ التكفير والقتال)[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٥).

السؤال (٤): ماهي ردة فعل بعض علماء عصركم على ماقمتم به من الدعوة للتوحيد؟

الجواب:

(من عشرين سنة يُقرون ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً **أن التوحيد الذي أظهره هذا الرجل هو دين الله ورسوله، لكن الناس لا يطيعوننا، وأن الذي أنكره هو الشرك، وهو صادق في إنكاره،** ولكن لو يَسلم من التكفير والقتال كان على حق. هذا كلامهم على رؤوس الأشهاد، ثم مع هذا يُعادون التوحيد ومن مال إليه العداوة التي تُعرف، ولو لم يُكفّر ويقاتل، وينصرون الشرك نصره الذي تُعرف، مع إقرارهم بأنه شرك!)[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٦ – ٢٧).

السؤال (٥): هل وافقك علماء العالم الإسلامي على دعوتك؟ لاسيما في العراق والشام؟ وما الذي حال بينهم وبين أن يقوموا بمثل ما قمتَ به؟

الجواب:

(هذا الذي أنكروا عليَّ، وأبغضوني، وعادوني من أجله، **إذا سألوا عنه كلَّ عالم في الشام واليمن أو غيرهم، يقول: هذا هو الحق**، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أُظهره في مكاني؛ لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره؛ لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه. هذا كلام العلماء)[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٣٢).

السؤال (٦): هل أنتم مبتدعون كما يزعم البعض؟ وما موقف رؤساء عصركم من دعوتك؟

الجواب:

(إني - ولله الحمد - متبعٌ ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به: مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين؛ مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين، وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يَشركه فيه ملَك مقرّب ولا نبي مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة، وبينت لهم أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة، الذين يدعون علياً، وغيره، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكُربات، وأنا صاحبُ منصبٍ في قريتي، مسموع الكلمة، فأنكر هذا بعض الرؤساء؛ لأنه خالف عادةً نشأوا عليها. وأيضاً ألزمت مَن تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر، وأنواعٍ من المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه؛

لكونه مستحسناً عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد، وأنهى عنه من الشرك، ولبّسوا على العوام أن هذا خلافُ ما عليه أكثر الناس، وكبُرت الفتنة جداً، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورَجله، منها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يفتريه، ومنها ما ذكرتم، أني أُكفّر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة!

ويا عجباً! كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلمٌ أو كافرٌ أو عارفٌ أو مجنونٌ؟!)[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٣٦ – ٣٧).

السؤال (٧): ماذا قلتَ لمن عارض الدعوة السلفية؟ وهل أكثر الأمة كانت على الشرك، كما ينسبه لكم البعض؟

الجـواب:

(قلت لهم: أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي، كلٌ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم، فلما أبو ذلك، نقلت لهم كلام العلماء من كل مذهب، وذكرت ما قالوا بعد ما حدثت الدعوة عند القبور والنذر لها، فعرفوا ذلك وتحققوه، ولم يزدهم إلا نفوراً!

وأما التكفير؛ فأنا أُكفّر من عرف دين الرسول، ثم بعد ما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى مَن فعله، فهذا هو الذي أُكفّره، **وأكثر الأمة - ولله الحمد - ليسوا كذلك.**

وأما القتال؛ فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحُرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكنًا، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى: ٤٠]، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٣٨).

السؤال (٨): اذكر لنا رسالتك إلى علماء الحرمين؟

الجـواب:

(من محمـد بـن عبـد الوهـاب إلى العلماء الأعـلام في بلـد الله الحرام، نصر الله بهم سيد الأنـام وتـابعي الأئمـة الأعـلام، سـلام عليكم ورحمه الله وبركاته؛ وبعد:

جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم، وسببه هدمُ بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، فلما كبُر هذا على العامـة لظـنهم أنـه تنقيص للصالحين، ومـع هـذا نهينـاهم عـن دعـواهم، وأمرنـاهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا مـن هـدم البنيان على القبور؛ كبُر على العامـة جـداً، وعاضـدهم بعـضُ مـن يدعي العلم؛ لأسباب أخر لا تخفى عـلى مـثلكم، أعظمهـا: اتبـاع هوى العوام مع أسباب أخر.

فأشاعوا عنا: أنّا نسب الصالحين، وأنّا على غير جـادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغـرب، وذكـروا عنـا أشـياء يـستحي العاقل من ذكرها.

وأنا أُخبركم بما نحن عليه خبراً لا أستطيع أن أكـذب، بـسبب أن مثلكم لا يروج عليـه الكـذب، ليتبـين لكـم الأمـر، وتعلمـون الحقيقة.

فنحن - والله الحمد - متبعون غير مبتدعين، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

ومن البهتان الذي أشاع الأعداء: أني أدعي الاجتهاد، ولا أتبع الأئمة!..

فهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة شرفها الله؛ مثل «الإقناع»، و«غاية المنتهى»، و«الإنصاف»، اللاتي عليها اعتماد المتأخرين، وهي عند الحنابلة «كالتحفة» و«النهاية» عند الشافعية. وهم ذكروا في باب الجنائز: هدم البناء على القبور، واستدلوا عليه بما في صحيح مسلم عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه بهدم القبور المشرِفة، وأنه هدمها، واستدلوا على وجوب إخلاص الدعوة لله، والنهي عما اشتهر في زمنهم من دعاء الأموات بأدلة كثيرة، وبعضهم يحكي الإجماع على ذلك.

فإن كانت المسألة إجماعاً فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد، فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا يُنكر عليه.

وما أشاعوا عنا من التكفير، وأني أفتيت بكفر البوادي الذين ينكرون البعث والجنة والنار، وينكرون ميراث النساء، مع علمهم أن كتاب الله عند الحضر، وأن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث بالذي

أنكروا، فلما أفتيت بكفرهم مع أنهم أكثر الناس في أرضنا، استنكر العوام ذلك، وخاصتهم الأعداء ممن يدعي العلم، وقالوا: من قال لا إله إلا الله لا يكفر، ولو أنكروا البعث، وأنكروا الشرائع كلها!!

ولما وقع ذلك من بعض القرى مع علمهم اليقين بكفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، حتى إنهم يقولون: من أنكر فرعاً مُجمعاً عليه كفر، فقلت لهم: إذا كان هذا عندكم فيمن أنكر فرعاً مُجمعاً، فكيف بمن أنكر الإيمان باليوم الآخر؟! وسب الحضر، وسفّه أحلامهم، إذا صدّقوا بالبعث؟! فلما أفتيت بكفرهم..كثرت الفتنة وصدّق الناس بما قيل فينا من الأكاذيب والبهتان.

وبالجملة؛ هذا ما نحن عليه، وأنتم تعلمون أن من هو أجلّ منّا لو تبين في هذه المسائل قامت عليه القيامة، وأنا - أُشهد الله وملائكته وأُشهدكم - على دين الله ورسوله، متبعٌ لأهل العلم، وما غاب عني من الحق وأخطأت فيه فبينوا لي، وأنا أُشهد الله أني أقبل على الرأس والعين، والرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل)[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٤٠ – ٤٢).

السؤال (٩): ماهو سبب الخلاف الحقيقي بينكم وبين من خالف الدعوة السلفية؟

الجواب:

(إن سألتَ عن سبب الاختلاف الذي هو بيننا وبين الناس؛ فما اختلفنا في شيء من شرائع الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك، ولا في شيء من المحرمات، الشيء الذي عندنا زين هو عند الناس زين، والذي عندهم شين هو عندنا شين، إلا أنّا نعمل بالزين.. وننهى عن الشين، ونؤدب الناس عليه.

والذي قلب الناس علينا: الذي قلبهم على سيد ولد آدم، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقلبهم على الرسل من قبله ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ [المؤمنون:٤٤]، ومثل ما قال ورقة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والله ما جاء أحدٌ بمثل ما جئتَ به إلا عودي»[١].

فرأس الأمر عندنا وأساسه: إخلاص الدين لله، نقول: ما يُدعى إلا الله، ولا يُنذر إلا لله، ولا يُذبح القربان إلا لله، ولا يُخاف خوف الله إلا من الله، فمن جعل من هذا شيئاً لغير الله، فنقول: هذا الشرك بالله، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦])[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٤٤).

السؤال (١٠): هل تُنكرون شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما يشيع بعض مخالفيكم؟

الجواب:

(يُذكر لنا أن عُدوان الإسلام الذين يُنفِّرون الناس، يزعمون أننا نُنكر شفاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

فنقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، بل نشهد أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشافع المشفَّع، صاحب المقام المحمود، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يُشفعّه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه.

هذا اعتقادنا، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح من المهاجرين والأنصار والتابعين وتابع التابعين، والأئمة الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ٤٨ – ٤٩).

السؤال (١١): ما الذي تُنكره؟ ومن أين أتيتَ به؟

الجـواب:

(الذي أُنكره: الاعتقاد في غير الله، مما لا يجوز لغيره، فإن كنتُ قلتُه من عندي، فارمِ به، أو من كتابٍ نقلته ليس عليه عملٌ، فارمِ به كذلك، أو نقلته عن أهل مذهبي، فارمِ به، وإن كنتُ قلته عن أمر الله ورسوله، وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب، فلا ينبغي لرجلٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُعرض؛ لأجل أهل زمانه أو أهل بلده، وأن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٥٣).

السؤال (١٢): هل تشترط على مَن أجاب الدعوة أن يُهاجر إليك، كما يزعم بعض مخالفيك؟ ومَن تُكفِّر؟

الجواب:

(ما ذُكر لكم عني أني أُكفّر بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء، وكذلك قولهم: إني أقول: من تبع دين الله ورسوله وهو ساكنٌ في بلده، أنه ما يكفيه حتى يجيء عندي!

فهذا أيضاً من البهتان. إنما المراد: اتباع دين الله ورسوله، في أي أرضٍ كانت؛ ولكن: نُكفّر من أقر بدين الله ورسوله، ثم عاداه، وصدّ الناس عنه؛ وكذلك من عبد الأوثان بعد ما عرف أنها دين المشركين، وزينه للناس؛ فهذا الذي أُكفّره، وكلُ عالمٍ على وجه الأرض يُكفّر هؤلاء، إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً، والله أعلم)(١).



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٥٨).

السؤال (١٣): هل تشترطون في المسلم الموحّد في عصركم أن يدخل تحت طاعتكم، كما يزعم أحد خصومكم؟ ومَن تُكفِّر؟

الجـواب:

(وكذلك تمويهه على الطغام بأن ابن عبد الوهاب يقول: الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر! نقول: ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٦]، بل نُشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا: بأن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك، وأهله، فهو المسلم، في أي زمان، وأي مكان.

وإنما نُكفر مَن أشرك بالله في إلهيته، بعدما نُبين له الحجة على بطلان الشرك. وكذلك نُكفر من حسّنه للناس، أو أقام الشُبه الباطلة على إباحته. وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يُشرك بالله عندها، وقاتل مَن أنكرها وسعى في إزالتها، والله المستعان)[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٦٠). بل من عدل الدولة السعودية أنها تُبقي على حكام البلاد التي تدين لدين الله بالولاء، ولا تُخرجهم من ملكهم؛ لأن هدفها إعلاء راية الدين الحق، والتوحيد، لا غير ذلك. كما بينته في مقدمتي لتاريخ ابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (١ / ٦٨).

السؤال (١٤): أحد خصومك[١]، اعترف بالحق في أول أمره، ثم نكص وشنّع عليك، ما الذي دعاه لهذا التقلب؟

الجواب:

(عندنا كتبُ يدِه في رسائل متعددة: أن هذا هو الحق، وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر؛ لأسباب؛ أعظمها: البغي أن يُنزل الله من فضله على من يشاء من عباده، وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هو الحق فلأي شيء لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله؟ فتعذّروا أنكم ما سألتمونا! قالوا: وإن لم نسألكم، كيف نُشرك بالله عندكم ولا تنصحونا؟ وظنوا أنه يأتيهم في هذا غضاضة، وأن فيه شرفاً لغيره، وأيضاً لما أنكرنا عليهم أكل السُحت والرشا، إلى غير ذلك من الأمور، فقام يُدجّل عندكم وعند غيركم بالبهتان، والله ناصرُ دينه ولو كره المشركون، وأنت لا تستهون مخالفة العادة على العلماء، فضلاً عن العوام)[٢].

---

(١) هو: سليمان بن سحيم (ت ١١٨١ هـ)، من ألد أعداء الدعوة السلفية، كان يُرسل الرسائل لعلماء العالم الإسلامي للتشنيع على الشيخ محمد! وللمزيد عنه يُنظر بحث «موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»؛ للدكتور عبدالله العثيمين، ضمن كتابه «بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية».

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٦٣).

السؤال (١٥): يزعم مخالفوك أن مَن قال لا إله إلا الله، فلا يجوز تكفيره، كما فعلتم، فما ردك عليهم من أقوال العلماء، وما سبب قولهم هذا ؟

الجواب:

(نقول: قال الشيخ تقي الدين: وقد غلط في مسمى التوحيد طوائفُ من أهل النظر، ومن أهل العبادة، حتى قلبوا حقيقته، فطائفةٌ ظنت أن التوحيد هو نفي الصفات، وطائفةٌ ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع، وظن أنه بذلك قرّر الوَحدانية، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع، ونحو ذلك، ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد، قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الآيات [المؤمنون: ٨٤] ، وهذا حق، لكن لا يخلص به عن الإشراك بالله الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يُخلص الدين لله، فلا يَعبد إلا الله، فيكون دينه لله، والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب، وأطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام.

وقال أيضاً في «الرسالة السنية» التي أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين، ويغلون فيه، فذكر حديث

الخوارج ثم قال: فإذا كان زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام مَن مرق منه مع عبادته العظيمة، فليُعلم أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين، وذلك بأمور: منها: الغلو الذي ذمه الله، مثل الغلو في عدي بن مسافر، أو غيره، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح، ونحوه، فكل من غلا في نبي أو صحابي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية؛ مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني، أو أنا في حسبك، ونحو هذا، فهذا كافر، يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليُعبد، ولا يُدعى معه إلهٌ آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى؛ مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورّة على صورهم، لم يكونوا يعتقدون أنها تُنزل المطر، وتُنبت النبات.

وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فبعث الله الرسل، وأنزل الكتب تنهى أن يُدعى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة، ولادعاء استغاثة.. وأطال الكلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فتأمل كلامه في أهل عصره من أهل النظر الذين يدّعون العلم، ومن أهل العبادة الذين يدّعون الصلاح.

وقال في «الإقناع» في باب حكم المرتد في أوله: فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته.. إلى أن قال: أو استهزأ بالله أو رسله، قال الشيخ: أو كان مبغضاً لرسوله، أو لما جاء به اتفاقاً، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم؛ كفر إجماعاً.. إلى أن قال: أو أنكر الشهادتين أو إحداهما.

فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك، وتأمل: هل قالوا هذا في أشياء وُجدت في زمانهم، واشتد نكيرهم على أهلها؟ أو قالوها ولم تقع، وتأمل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية، والبغض لما جاء به الرسول.

وقال أيضاً في أثناء الباب: ومن اعتقد أن لأحدٍ طريقاً إلى الله غير متابعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروجاً عن اتباعه، أو قال: أنا محتاجٌ إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال: إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته؛ كما وسع الخضِر الخروج عن شريعة موسى؛ كفر في هذا كله.

ولو تعرف مَن قال هذا الكلام فيه، وجزم بكفرهم، وعلمتَ ما هم عليه من الزهد والعبادة، وأنهم عند أكثر أهل زماننا من أعظم الأولياء! لقضيت العجب.

وقال أيضاً في الباب: ومن سب الصحابة واقترن بسبه دعوى أن علياً إله أو نبي، أو أن جبريل غلط، فلا شك في كفر هذا، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

فتأمل هذا. إذا كان كلامه هذا في علي، فكيف بمن ادعى أن ابن عربي أو عبد القادر إله؟ وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تألهه القلوب، واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم يدعون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات، مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين، ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم، وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ﴾ الآية [الإسراء:٦٧].

وقال أيضاً في «الإقناع» في الباب: ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله، وهو عُقد ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، ومنه ما يقتل، ومنه ما يُمرض، ومنه ما يأخذه عن امرأته، فيمنعه وطأها، ومنه ما يُبغّض

أحدهما للآخر، ويُحبب بين اثنين، ويكفر بتعلمه وفعله؛ سواء اعتقد تحريمه أو إباحته.

فتأمل هذا الكلام، ثم تأمل ما جرى في الناس خصوصاً الصَرف والعَطف، تعرف أن الكفر ليس ببعيد، وعليك بتأمل هذا الباب في «الإقناع وشرحه» تأملاً جيداً، وقف عند المواضع المشكلة، وذاكر فيها، كما تفعل في باب الوقف والإجارة، يتبين لك إن شاء الله أمرٌ عظيم.

وأما الحنفية؛ فقال الشيخ قاسم في «شرح درر البحار»: النذر الذي يقع من أكثر العوام، وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلا: يا سيدي فلان إن رُد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قُضيت حاجتي؛ فلك كذا وكذا، باطل إجماعاً؛ لوجوه: منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: ظن أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر.. إلى أن قال: إذا عُرف هذا، فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها ويُنقل إلى ضرائح الأولياء، فحرام بإجماع المسلمين، وقد ابتلي الناس بهذا، لا سيما في مولد أحمد البدوي.

فتأمل قول صاحب النهر، مع أنه بمصر ومقر العلماء، كيف شاع بين أهل مصر ما لا قُدرة للعلماء على دفعه، فتأمل قوله: من أكثر العوام، أتظن أن الزمان صلح بعده؟

أما المالكية؛ فقال الطرطوشي في كتاب «الحوادث والبدع»: روى البخاري[1] عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حُنين، ونحن حديثو عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟

فقال: **الله أكبر! هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، لتركبن سَنن من كان قبلكم**».

فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس، وينوطون بها الخِرق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبي للغرباء، الذين يُصلحون إذا فسد الناس**»[2]، ومعنى هذا: أن الله لما جاء بالإسلام كان الرجل إذا أسلم في قبيلته غريباً مستخفياً بإسلامه، قد جفاه العشيرة، فهو بينهم ذليلٌ خائف، ثم يعود غريباً؛ لكثرة الأهواء المضلة، والمذاهب المختلفة، حتى يبقى

(١) بل رواه الترمذي (٢١٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) السلسلة الصحيحة؛ للألباني (٣/ ٢٦٧).

أهل الحق غرباء في الناس؛ لقلتهم، وخوفهم على أنفسهم.

وروى البخاري عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً. وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره. وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف فيهم شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيعت. انتهى كلام الطرطوشي.

فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث، وفي أي زمان قيلت، وفي أي مكان، وهل أنكرها أحدٌ من أهل العلم، والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادي منها ما وقع من الصحابة، وقول الصادق المصدوق إنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم: اجعل لنا إلهاً، يا عجباً إذا جرى هذا من أولئك السادة ،كيف يُنكر علينا أن رجلاً من المتأخرين غلط في قوله: يا أكرم الخلق؟! كيف تعجبون من كلامي فيه، وتظنونه خيراً وأعلم منهم؟!

وأما كلام الشافعية؛ فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث»: وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام المنتمين إلى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين،

فهم داخلون تحت قوله: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ الآية [الشورى:٢١]، وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها، ومن هذا القسم ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعُمد، وإسراج مواضع في كل بلد، يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه أحداً ممن شُهر بالصلاح، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله، ثم يجاوزون ذلك إلى أن يَعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر له، وهي بين عيون وشجر وحائط وحجر، وفي دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة؛ كعوينة الحمّى، والشجرة الملعونة خارج باب النصر، سهل الله قطعها، فما أشبهها بذات أنواط.. ثم ذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال: أسال الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه.

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نبذٌ لشريعة الإسلام، وأنه خروجٌ على الإيمان، ثم ذكر أنه عم الابتلاء به الشام.

فأنت قل لصاحبكم: هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره، وصاحوا بأهله من أقطار

الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريباً، فهو بين اثنين: إما أن يقول: كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالون مضلون خارجون، وإما أن يدعي أن زمانه وزمان مشايخه صلُح بعد ذلك.

ولا يخفاك: أني عثرت على أوراق عند ابن عزاز فيها إجازات له من عند مشايخه، وشيخ مشايخه رجلٌ يقال له عبد الغني[١]، ويثنون عليه في أوراقهم، ويسمونه العارف بالله، وهذا اشتُهر عنه أنه على دين ابن عربي، الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون، حتى قال ابن المقرىء الشافعي: من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر[٢]. فإذا كان إمام دين ابن عربي والداعي إليه هو شيخهم، ويثنون عليه أنه العارف بالله، فكيف يكون الأمر؟ ولكن أعظم من هذا كله ما تقدم عن أبي الدرداء وأنس وهما بالشام ذلك الكلام

---

(١) هو الصوفي عبدالغني النابلسي، المتوفى عام (١١١٩هـ)، من المُعظّمين لابن عربي المُلحد، والسائرين على نهجه في عقيدة «وحدة الوجود». وللمزيد عنه تُنظر رسالة: «منهج عبد الغني النابلسي في العقيدة والتصوف»؛ للأستاذ خالد بن سليمان الخطيب.

(٢) يُنظر قوله هذا وغيره من أقواله في التحذير من ابن عربي الصوفي: في رسالة «ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر»؛ للشيخ دغش بن شبيب العجمي (ص ٥١٦ – ٥٤١).

العظيم. واحتج به أهل العلم على أن زمانهم أعظم، فكيف بزماننا؟

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الهدي النبوي» في الكلام على حديث وفد الطائف لما أسلموا وسألوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يترك لهم اللات لا يهدمها سنة، قال: ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الشرك والكفر، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهكذا حكمُ المشاهد التي بُنيت على القبور التي اتُخذت أوثاناً تُعبد من دون الله، والأحجار التي تُقصد للتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثيرٌ منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، بل أعظم شركا عندها وبها، والله المستعان، ولم يكن أحدٌ من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سَنن من قبلهم، وسلكوا سبيلهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وسلكوا سبيلهم حذو القُذة بالقُذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لغلبة الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة،

والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطُمست الأعلام، واشتدت غُربة الإسلام، وقلّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس. انتهى كلامه.

وقال أيضاً - في الكلام على هذه القصة لما ذكر أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ مال اللات وصرفه في المصالح -: ومنها: جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، فيجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تُساق إليها، ويصرفها على الجند والمقاتلة، ومصالح الإسلام؛ كما أخذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أموال اللات، وكذا الحكم في وقفها، والوقف عليها باطل، وهو مالٌ ضائع، فيُصرف في مصالح المسلمين، فإن الوقف لا يصح إلا في قُربة وطاعة لله ورسول، فلا يصح على مشهد ولا قبر، يُسرج عليه، ويُعظَّم، ويُنذر له، ويُعبد من دون الله، وهذا مما لا يخالف فيه أحدٌ من أئمة الدين، ومن اتبع سبيلهم. انتهى كلامه.

فتأمل كلام هذا الرجل الذي هو من أهل العلم، وهو أيضاً من أهل الشام ،كيف صرّح أنه ظهر في زمانه فيمن يدعي الإسلام في الشام وغيره عبادة القبور والمشاهد والأشجار والأحجار، التي

هي أعظم من عبادة اللات والعزى أو مثلها، وأن ذلك ظهر ظهوراً عظيما حتى غلب الشرك على أكثر النفوس، وحتى صار الإسلام غريباً، بل اشتدت غربته.

أين هذا من قول صاحبكم لأهل الوشم في كتابه لما ذكروا له أن في بلدانكم شيئاً من الشرك: يأبى الله أن يكون ذلك في المسلمين!!

وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأطمّ مما قال ابن عيدان وصاحبه في أهل زمانهما. أفتُرى هؤلاء العلماء أتوا فرية عظيمة ومقالة جسيمة؟

فهذا ما يسّر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العجَلة، فأنت تأمله تأملاً جيداً، واجعل تأملك لله، مستعيذاً بالله من اتباع الهوى)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٦٧ – ٧٤).

السؤال (١٦): حبذا لو تذكرون لنا شيئًا عن حقيقة دعوتكم؟

الجـواب:

(أما ما نحن عليه من الدين، فعلى دين الإسلام الذي قـال الله فيــه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأما ما دعونا الناس إليه: فندعوهم إلى التوحيد، الذي قال الله فيه خطابـاً لنبيــه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]، وقوله تعالي: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

وأما ما نهينا الناس عنه: فنهيناهم عن الشرك، الذي قال الله فيه: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ ﴾ [المائدة:٧٢]، وقوله عن الشرك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦]، وغير ذلك من الآيـات، ونقـاتلهم عليـه؛ كـما قـال تعــــالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ ﴾ [البقـرة:١٩٣]، وقولــه تعــالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ

وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التوبة:٥]، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل**»(١)، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وسماها سبحانه بالعروة الوثقى، وكلمة التقوى، وسموها الطواغيت كلمة الفجور، من قال لا إلا الله عصم دمه وماله، ولو هدم أركان الإسلام الخمسة، وكفر بأصول الإيمان الستة!

وحقيقة اعتقادنا أنها تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وإلا فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار، مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله، بل ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، بل ويصومون، ويحجون، ويجاهدون، وهم مع ذلك تحت آل فرعون في الدرك الأسفل من النار، وكذلك ما قصه الله سبحانه عن بلعام، وضرب له مثلاً بالكلب، ما معه من العلم فضلاً عن الاسم العظيم:

وعالمٌ بعلمه لم يعملنْ — معذبٌ من قبلِ عُباد الوثنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد؛ فنحن مقلدون الكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى.

وأما ما سألتم عنه من حقيقة الإيمان؛ فهو التصديق، وأنه يزيد بالأعمال الصالحة، وينقص بضدها، قال الله تعالى: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر:٣١].

وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال:٢]، وغير ذلك من الآيات.

قال الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإيماننا قولٌ وفعلٌ ونية ويزداد بالتقوى وينقص بالردَى

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[1]، وقوله

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

وما جئنا بشيء يُخالف النقل، ولا يُنكره العقل، ولكنهم يقولون ما لا يفعلون، ونحن نقول ونفعل، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣]، نُقاتل عُباد الأوثان كما قاتلهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقاتلهم على ترك الصلاة وعلى منع الزكاة كما قاتل مانعَها صديقُ هذه الأمة أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولكن ما هو إلا كما قال ورقة بن نوفل: ما أتى أحدٌ بمثل ما أتيتَ به إلا عودي، وأوذي(٢)، وأُخرج، وما قل وكفى، خيرٌ مما كثر وألهى)(٣).



(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣، ٤٩٥٣).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٩٤ - ٩٨).

السؤال (١٧): ما هو مذهبكم الفقهي؟

الجـواب:

(وأما مذهبنا؛ فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهـل الـسنة، ولا ننكر على أهـل المـذاهب الأربعـة إذا لم يخـالف نـص الكتـاب والسنة وإجماع الأمة، وقول جمهورها)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ١٠٧)، وللمزيد: يُنظر مقالي «موقف دعـوة الـشيخ محمد بن عبدالوهاب من المذاهب الفقهية الأربعة»، ضمن كتابي «مقـالات علميـة عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية والدولة السعودية».

السؤال (١٨): ما الذي أوجب الخلاف بينكم وبين مَن خالفوكم؟ وهل صحيح أنهم كفّروكم، وقاتلوكم؟

الجواب:

(وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسُرج، والصلاة عندها، واتخاذها أعياداً، وجعل السدنة النذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقعها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذّر منها؛ كما في الحديث عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**»(١)، وهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى جناب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهي أن يُجصص القبر، وأن يُبنى عليه؛ كما ثبت في صحيح مسلم(٢) من حديث جابر، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمره أن لا يدع قبراً مُشرفاً إلا سواه، ولا تمثالاً إلا طمسه، ولهذا قال غير واحد من العلماء: يجب هدم القبب المبنية على القبور؛ لأنها أُسست على

(١) أخرجه أبوداود (٤٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) برقم (٩٦٩).

معصية الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفّرونا وقاتلونا(١)، واستحلوا دماءنا وأموالنا،

---

(١) يُصدّق كلام الشيخ - رحمه الله -: ماذكره أحمد زيني دحلان - وهو من المعادين للدعوة السلفية - في كتابه «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» (ص ٢٢٨ ط ١) عن وصول علماء الدعوة السلفية إلى مكة للتحاور مع علمائها، قال: (أمر مولانا الشريف مسعود أن يناظر علماءُ الحرمين العلماءَ الذين أُرسلوا؛ فناظروهم، فوجدوهم ضُحكة ومسخرة، كحُمُرٍ مستنفرة، فرت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم؛ فإذا هي مشتملة على كثير من المكفِّرات، فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل، أمر الشريف مسعود قاضي الشرع **أن يكتب حجة بكفرهم الظاهر**؛ ليعلم به الأول والآخر، وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأنذال، ووضعهم في السلاسل والأغلال، فسجن منهم جانباً، وفرَّ الباقون)!!

فتأمل كيف عاملوا علماءَ الدعوة السلفية الذين إنما بُعثوا للمناظرة العلمية، فسخروا منهم، وكفّروهم، وسجنوهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وسيأتي أن هذا الفعل الشنيع من شريف مكة وعلماء الضلال معه، لم يؤثر في الشيخ محمد، وحكام الدولة السعودية، الذين أرسلوا - زمن الشريف أحمد بن سعيد - علماءهم إليه لتبيين حقيقة الدعوة السلفية؛ لعله يتفهمها ويتقبلها؛ إلا أنه - للأسف - كسلفه، تابع علماء الضلال، يقول دحلان مواصلاً الحديث السابق: (حتى مضت دولة الشريف مسعود، وأقيم بعده أخوه =

حتى نصرنا الله عليهم، وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه، ونقاتلهم عليه، بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع السلف الصالح من الأئمة؛ ممتثلين لقوله سبحانه وتعالي: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣]، فمن لم يُجب الدعوة بالحجة والبيان؛ قاتلناه بالسيف والسنان؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام،

=

الشريف مساعد بن سعيد، فأرسلوا في مدته يستأذنون في الحج فأبى وامتنع من الإذن لهم، فضعفت عن الوصول مطامعهم، فلما مضت دولة الشريف مساعد، وتقلد الأمر أخوه الشريف أحمد بن سعيد، أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة. فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم **لا يتدينون إلا بدين الزنادقة**، فأبى أن يُقرّ لهم في حمى البيت الحرام قرار، ولم يأذن لهم في الحج، **بعد أن ثبت عند العلماء أنهم كفار**، كما ثبت في دولة الشريف مسعود)!!

ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١]، فهذا هو الذي نعتقد وندين الله به، فمن عمل بذلك، فهو أخونا المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا.

ونعتقد أيضاً أن أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتبعين لسنته لا تجتمع على ضلالة، وأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ١١٣ - ١١٥).

السؤال (١٩): لا زال البعض يُشكل عليه تكفير المسلم الذي يقول: لا إله إلا الله، بخلاف المشرك الذي لا يقولها، فكيف تُجيبون عن هذا؟

الجـواب:

(قوله: إن المشرك لا يقول لا إله إلا الله، فياعجباً من رجلٍ يدعي العلم، وجاي من الشام يحمل كتبًا، فلما تكلم إذ أنه لا يعرف الإسلام من الكفر، ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق وبين مسيلمة الكذاب!

أما علم أن غلاة الرافضة الذين حرّقهم علي يقولونها؟ وكذلك الذين يقذفون عائشة ويُكذبون القرآن؟ وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غلط؟ وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم؟ منهم من ينتسب إلى الإسلام، ومنهم من لا ينتسب إليه؛ كاليهود، وكلهم يقولون: لا إله إلا الله، وهذا بيّن عند من له أقل معرفة بالإسلام من أن يحتاج إلى تبيين.

وإذا كان المشركون لا يقولونها، فما معنى باب حكم المرتد الذي ذكر الفقهاء من كل مذهب؟ هل الذين ذكروهم الفقهاء وجعلوهم مرتدين لا يقولونها؟!

هذا الذي ذكر أهل العلم أنهم أكفر من اليهود والنصارى، وقال بعضهم من شك في كفر أتباعه فهو كافر، وذكرهم في «الإقناع» في باب حكم المرتد، وإمامهم ابن عربي.. أيظنهم لا يقولون: لا إله إلا الله؟!)[١].

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ١٣٦ – ١٣٧).

السؤال (٢٠): مَن هو الذي تُكفرونه؟ وهل أكثر الأمة كفار، كما يُشاع عنكم؟

الجواب:

(أما التكفير؛ فأنا أُكفِّر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبّه ونهى الناس عنه، وعادى مَن فعله، فهذا هو الذي أُكفّر، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك، وأما القتال؛ فلم نقاتل أحداً إلى اليوم، إلا دون النفس والحُرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكناً.

ولكن؛ قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠]، وكذلك مَن جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه.

فإنَا نبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس، وتعليمه النساء والرجال)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ١٥٨).

السؤال (٢١): هل دعوتكم تتنقص الأولياء؟

الجـواب:

(من محمـد بـن عبـد الوهـاب إلى مَـن يـصل إليـه مـن علـماء الإسلام، آنس الله بهم غربة الدين، وأحيى بهم سـنة إمـام المتقـين، ورسول رب العـالمين، سـلام علـيكم معـشر الإخـوان ورحمـة الله وبركاته؛ أما بعد:

فإنه قد جرى عندنا فتنة عظيمة، بسبب أشياء نهيت عنها بعض العوام، من العـادات التـي نـشأوا عليهـا، وأخـذها الـصغير عـن الكبير، مثل عبادة غير الله، وتوابع ذلك من تعظيم المـشاهد، وبنـاء القباب على القبور، وعبادتها، واتخاذها مساجد، وغير ذلك مما بينـه الله ورسوله غاية البيان، وأقام الحجة، وقطع العُذر، ولكـن الأمـر كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ**».

فلما عظّم العوام قطع عاداتهم، وساعدهم على إنكـار ديـن الله بعضُ مَن يدعي العلم، وهو من أبعـد النـاس عنـه؛ إذ العـالم مَـن يخشى الله، فأرضى الناس بسخط الله، وفـتح للعـوام بـاب الـشرك بالله، وزينه لهم، وصدّهم عن إخلاص الدين لله؛ وأوهمهم أنه مـن تنقيص الأنبياء والصالحين، وهذا بعينه هو الذي جرى على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عبدٌ مربـوب، لـيس

له من الأمر شيء، قالت النصارى: إنه سبّ المسيح وأمه!

وهكذا قالت الرافضة لمن عرف حقوق أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأحبهم، ولم يغلُ فيهم، رموه ببُغض أهل بيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهكذا هؤلاء لما ذكرتُ لهم ما ذكره الله ورسوله، وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف، من الأمر بإخلاص الدين لله، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا، في اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، قالوا لنا: تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء! والله تعالى ناصرٌ لدينه، ولو كره المشركون)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ١٧٦ – ١٧٧).

السؤال (٢٢): ما جوابكم على مَن يوافقكم في الدعوة السلفية، ويتوقف في مسألتي: التكفير والقتال؟

الجواب:

(فإذا قيل: التوحيد زين، والدين حق، إلا التكفير والقتال.

قيل: اعملوا بالتوحيد ودين الرسول، ويرتفع حكم التكفير والقتال، فإن كان حق التوحيد الإقرار به والإعراض عن أحكامه، فضلا عن بُغضه ومعاداته، فهذا والله عين الكفر وصريحه، فمن أشكل عليه من ذلك شيء فليطالع سيرة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه)(١).



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ١٨٣). وحال مَن يوافق الدعوة السلفية في التوحيد، ويتوقف عن تكفير المشركين بعد تبيين الحجة لهم، وقتالهم، كحال مَن يُقر بالمرض، ولكنه يُعارض مَن يصف صاحبه بالمريض! أو يسعى في علاجه!

السؤال (٢٣): كيف كان حالكم قبل أن يمنّ الله عليكم بمعرفة حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل؟

الجواب:

(وأنا أُخبركم عن نفسي: والله الذي لا إله إلا هو، لقد طلبت العلم واعتقد من عرفني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله، ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منَّ الله به[١].

وكذلك مشايخي؛ ما منهم رجلٌ عرف ذلك، فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله، أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخه أن أحداً عرف ذلك؛ فقد كذب وافترى، ولبّس على الناس، ومدح نفسه بما ليس فيه..

---

(١) لأنه وعلماء بلده كانوا لا يعرفون سوى توحيد الربوبية؛ فلا إله إلا الله، معناها عندهم: لا خالق إلا الله! بسبب انتشار عقيدة الأشاعرة المتكلمين المبتدَعة التي لا تأبه لتوحيد الألوهية، وإخلاص العبادة لله تعالى، الذي هو أساس الإسلام، وإنما همها تقرير توحيد الربوبية، ولذا انتشرت الشركيات بين المسلمين، دون نكير من علماء الضلال الأشاعرة ؛ كما هو مشاهدٌ اليوم في بلادٍ عديدة، لا تكاد تجد من الأشاعرة عالمًا يُنكر القبوريات والشركيات، بخلاف علماء السنة الموفقين. وانظر للمزيد عن هذا الأمر: رسالة «منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى»؛ للأستاذ خالد نور.

إذا عرفتم ذلك؛ فاعلموا أن قول الرجل: لا إله إلا الله، نفي وإثبات، إثبات الألوهية كلها لله وحده، ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم، وليس معنى الألوهية أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يُدبر ولا يحيي ولا يميت إلا الله، فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقرون بهذا؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]، فتفكروا عباد الله فيما ذكر الله عن الكفار أنهم مُقرون بهذا كله لله وحده، لا شريك له، وإنما كان شركهم أنهم يدعون الأنبياء والصالحين، ويندبونهم، وينذرون لهم، ويتوكلون عليهم، يريدون منهم أنهم يقربونهم إلى الله؛ كما ذكر الله عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣])[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ١٨٦ – ١٨٨).

السؤال (٢٤): هل تناقض بعضُ مخالفيكم وتذبذبوا؟

الجـواب:

(إنكم تُقرون أن الذي يأتيكم من عندنا هو الحق، وأنت تشهد به ليلاً ونهاراً، وإن جحدتَ هذا شهد عليك الرجال والنساء، ثم مع هذه الشهادة أن هذا دين الله، وأنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليلاً ونهاراً، ومن أطاعكما، وتبهتون وترمون المؤمنين بالبهتان العظيم، وتصورون على الناس الأكاذيب الكبار، فكيف تشهد أن هذا دين الله، ثم تتبين في عداوة من تبعه؟!)(١).



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٢٢٦ – ٢٢٧).

السؤال (٢٥): مَن الذي شكاكم وشنّع عليكم عند علماء الحرمين؟

الجواب[١]:

(فإذا كنتَ تعرف التوحيد، وتُقر أن كلامي هذا حق، فكيف تجعله تغييرًا لدين الله، وتشكونا عند أهل الحرمين؟!)[٢].



(١) الخطاب لسليمان بن سحيم، عدو الدعوة، وهو من أوائل مَن ساهم في تشويه دعوة الشيخ، مع مجموعة من النجديين المخذولين.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٢٢٨).

السؤال (٢٦): ما هو مذهب أهل السنة في التكفير؟ وما ردك على مَن لم يُكفِّر من أشرك بالله؟

الجـواب:

(وأما أهل السنة؛ فمذهبهم: أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك، ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك، وأنت رجل من أجهل الناس، تظن أن من صلى وادعى أنه مسلم لا يكفر، فإذا كنتَ تعتقد ذلك، فما تقول في المنافقين الذين يُصلون ويصومون ويجاهدون؟ قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لئن أدركتم لأقتلنهم قتل عاد[١]، أينما لقيتموهم فاقتلوهم»[٢]، أتظنهم ليسوا من أهل القبلة؟

ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره، فأضرم لهم علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ناراً، فأحرقهم بها، وأجمعت الصحابة على قتلهم،

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١).

لكن ابن عباس أنكر تحريقهم بالنار، وقال يُقتلون بالسيف؟ أتظن هؤلاء ليسوا من أهل القبلة؟ أم أنت تفهم الشرع وأصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يفهمونه؟

أرأيت أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قاتلوا مَن منع الزكاة، فلما أرادوا التوبة، قال أبو بكر: لا نقبل توبتكم حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

أتظن أن أبا بكر وأصحابه لا يفهمون؟!)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٢٣٣ – ٢٣٤).

السؤال (٢٧): هل قامت الحجة على عُبـــّاد القبور؟ ومَن هو الذي يُشترط أن تُقام الحجة عليه؟ وما الفرق بين قيام الحجة وفهمها؟

الجـواب:

(الذي لم تقم علية الحجة هو الذي حديثُ عهدٍ بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصَرف والعَطف، فلا يكفر حتى يُعرّف؛ وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة.

ولكن أصل الإشكال أنكم لم تُفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله، مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]، وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها.

إن أشكل عليكم ذلك؛ فانظروا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»، وقوله: «**شر قتلى تحت أديم**

السماء»، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها.

وكذلك قتلُ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذين اعتقدوا فيه، وتحريقهم بالنار، مع كونهم تلاميذ الصحابة، مع مبادئهم وصلاتهم وصيامهم، وهم يظنون أنهم على حق.

وكذلك إجماع السلف على تكفير غلاة القدرية، وغيرهم، مع عملهم وشدة عبادتهم، وكونهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعاً، ولم يتوقف أحدٌ من السلف في تكفيرهم؛ لأجل كونهم لم يفهموا!)[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٢٤٤ – ٢٤٥).

السؤال (٢٨): هل تقبلون الحق من غيركم؟

الجـواب:

(ولستُ - ولله الحمد - أدعو إلى مـذهبٍ صـوفي، أو فقيـه، أو متكلم، أو إمامٍ من الأئمة الذين أُعظّمهم؛ مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعـو إلى سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، التي أوصى بها أول أمته وآخـرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتـاني، بـل أُشـهد الله وملائكتـه وجميـع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنهـا عـلى الـرأس والعـين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنه لا يقول إلا الحق.

وصـفة الأمـر غـير خـاف علـيكم، مـا درج عليـه رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعون وأتباعهم، والأئمة كالـشافعي وأحمد وأمثالهما، ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم، وكذلك مـا درج عليه مَن سبقت له من الله الحسني من أتباعهم)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٢٥٢).

السؤال (٢٩): ما هي الأمور الأربع التي دعوتَ إليها مَن خالفك؟

الجواب:

(أنا أدعو من خالفي إلى أحد أربع:

إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند: دعوته إلى المباهلة، كما دعا إليها ابن عباس في بعض مسائل الفرائض، وكما دعا إليها سفيان والوزاعي في مسألة رفع اليدين، وغيرهما من أهل العلم)(١).



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٢٦٦).

السؤال (٣٠): ما هي أبرز شبهة لخصوم الدعوة السلفية؟

الجـواب:

(ولكنهم يجادلونكم اليوم بشبهة واحدة، فاصغوا لجوابها، وذلك أنهم ممن يخفى عليه جواب هذا:

إذا أقروا أن هذا دين الله ورسوله، كيف لا يكفر من أنكره، وقتل من أمر به وحبسهم؟ كيف لا يكفر من أمر بحبسهم؟ كيف لا يكفر من جاء إلى أهل الشرك يحثهم على لزوم دينهم، وتزيينه لهم، ويحثهم على قتل الموحدين وأخذ مالهم؟ كيف لا يكفر وهو يشهد أن الذي يحث عليه أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكره، ونهى عنه، وسماه الشرك بالله؟ ويشهد أن الذي يُبغضه ويُبغض أهله، ويأمر المشركين بقتلهم، هو دين الله ورسوله؟

واعلموا أن الأدلة على تكفير المسلم الصالح إذا أشرك بالله، أو صار مع المشركين على الموحدين، ولو لم يشرك، أكثر من أن يُحصر من كلام الله وكلام رسوله، وكلام أهل العلم كلهم.

وأنا أذكر لكم آية من كتاب الله، أجمع أهل العلم على تفسيرها، وأنها في المسلمين، وأن من فعل ذلك فهو كافر في أي زمان كان: قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦] إلي آخر الآية، وفيها: ﴿ذَٰلِكَ

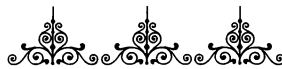
بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٧]، فإذا كان العلماء ذكروا أنها نزلت في الصحابة لما فتنهم أهل مكة، وذكروا أن الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه مع بُغضه لذلك وعداوة أهله لكن خوفاً منهم أنه كافر بعد إيمانه، فكيف بالموحّد في زماننا، إذا تكلم في البصرة أو الأحساء أو مكة أو غير ذلك، خوفاً منهم؟ لكن قبل الإكراه.

وإذا كان يكفر، فكيف بمن صار معهم، وسكن معهم، وصار من جملتهم؟

فكيف بمن أعانهم على شركهم وزينه لهم؟

فكيف بمن أمر بقتل الموحدين، وحثهم على لزوم دينهم؟

فأنتم - وفقكم الله - تأملوا هذه الآية، وتأملوا مَن نزلت فيه، وتأملوا إجماع العلماء على تفسيرها، وتأملوا ما جرى بيننا وبين أعداء الله، نطلبهم دائماً الرجوع إلى كتبهم التي بأيديهم في مسألة التكفير والقتال، فلا يجيبوننا إلا بالشكوى عند الشيوخ!)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٢٧٢ – ٢٧٣).

السؤال (٣١): ما موقفكم من آل بيت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ؟

الجـواب:

(قـد أوجـب الله لأهـل بيـت رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عـلى الناس حقوقاً، فلا يجوز لمسلم أن يُسقط حقهـم، ويظـن أنـه مـن التوحيد، بل هو من الغلو)[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٢٨٤)، ويُنظر للزيادة: رسالة «محمد بن عبدالوهاب وموقفه من آل البيت عليهم السلام»؛ للشيخ خالد بن أحمد الزهراني.

السؤال (٣٢): هل تتقبل النصيحة يا شيخ؟

الجـواب:

(أنا أجد في نفسي أن ودّي من ينصحني كلما غلطت)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٨٩).

السؤال (٣٣): هل الـذي عـاداكم في البدايـة هـم الرؤسـاء أو العامة؟

الجـواب:

(ولا يخفاك أن الذي عادانا في هذا الأمر هـم الخاصـة، الـذين ليسوا بالعامة)[1].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٣٠٠).

السؤال (٣٤): ما الذي يلزم مَن قرأ كتبك وكتب خصومك؟

الجـواب:

(الواجب عليك: الدعوة إلى الله، وعداوة مَن صرّح بسب دين الله ورسوله، وإن كـان الـصواب معهـم، أو معنـا شيء مـن الحـق وشيء من الباطل، أو معنا غلوٌ في بعض الأمـور، فالواجـب منـك مذاكرتنا ونصيحتنا، وتورينا عبارات أهل العلم؛ لعل الله أن يردنـا بـك إلى الحـق، وإن كـان إذا حـررتَ المـسألة إذ أنهـا مـن مـسائل الاختلاف، وأن فيها خلافاً عند الحنفية، أو الـشافعية، أو المالكيـة، فتلك مسألة أخرى.

وبالجملـة؛ فـالأمر عظـيم، ولا نعـذرك مـن تأمـل كلامنـا وكلامهم، ثم تعرضه على كلام أهل العلم، ثم تبـين في الـدعوة إلى الحق، وعداوة مَن حادَّ الله ورسوله، منا أو غيرنا، والسلام)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٣٠١).

السؤال (٣٥): ما وصيتك لمن سلك سبيل الدعوة للتوحيد؟

الجـواب:

(فإذا تحققهم أن من اتبع هذا الدين لا بد له من الفتنة، فاصبروا قليلاً، ثم أبشروا عن قليل بخير الدنيا والآخرة؛ واذكروا قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢٠-٢١].

لئن رزقكم الله الصبر على هذا، وصرتم من الغرباء الذين تمسكوا بدين الله، مع ترك الناس إياه، فطوبى ثم طوبى، أن كنتم ممن قال فيه نبيكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**»، قيل: يا رسول الله مَن الغرباء؟ قال: «**الذين يُصلحون إذا فسد الناس**»[1].

فيا لها من نعمة؟

---

(١) السلسلة الصحيحة؛ للألباني (٣/ ٢٦٧).

ويا لها من عظيمة؟

جعلنا الله وإياكم من أتباع الرسول، وحشرنا تحت لوائه، وأوردنا حوضه، الذي يرده مَن تمسك بدينه في الدنيا)[١].



(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٣٠٨ - ٣٠٩).

السؤال (٣٦): حبذا تذكرون لنا رسالتكم الشهيرة إلى شريف مكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

الجـواب:

(بسم الله الرحمن الرحيم

المعروض لديك، أدام الله أفضل نعمه عليك، حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد، أعزه الله في الدارين، وأعز به دين جده سيد الثقلين.

إن الكتاب لما وصل إلى الخادم، وتأمل ما فيه من الكلام الحسَن، رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف، لما كان قصدُه نصرَ الشريعة المحمدية، ومن تبعها، وعداوة مَن خرج عنها، وهذا هو الواجب على ولاة الأمور[١].

ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم؛ امتثلنا الأمر، وهو واصلٌ إليكم، ويجلس في مجلس الشريف، أعزه الله، هو وعلماء مكة، فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك، وإن اختلفوا؛ أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة، والواجب على الكل منا ومنكم أنه يقصد بعلمه

(١) رغم هذا التلطف من الشيخ، ونسيان الماضي، إلا أنه لم يؤثر في شريف مكة؛ بسبب علماء الضلال عنده -كما سبق بيانه- .

وجه الله، ونصر رسوله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:٨١]، فإذا كان سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإيمان به ونُصرته، فكيف بنا يا أمته؟

فلا بد من الإيمان به، ولا بد من نُصرته، لا يكفي أحدهما عن الآخر، وأحقُ الناس بذلك وأولاهم به: أهل البيت، الذي بعثه الله منهم، وشرّفهم على أهل الأرض به، وأحق أهل البيت بذلك: مَن كان من ذريته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والسلام)[١].



---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٣١٢).

السؤال (٣٧): ما جوابك لمن طالبك بالسكوت عن خصوم الدعوة السلفية؟

الجواب:

(إن كان مرادك أني أسكت عمّن أظهر الكفر والنفاق، وسلَّ سيف البغض على دين الله وكتابه ورسوله، مثل ولد ابن سحيم، ومَن أظهر العداوة لله ورسوله من أهل العيينة والدرعية، أو غيرهم، فهذا لا ينبغي منك، ولا يُطاع أحدٌ في معصية الله، فإن وافقتونا على الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة الله، فلكم الحظ الأوفر، وإلا لم تضروا الله شيئاً، وقد ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن الطائفة المنصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٤٢].

وقد ذم الله الذي لا يثبت على دينه إلا عندما يهواه؛ فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]، وينبغي لكم إذا عجزتم وجنبتم أنكم ما تلوموننا، ونحمد الله الذي يسّر لنا هذا، وجعلنا من أهله، وقد أخبر أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤])[1].

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ٣١٩ – ٣٢٠).

ملحق فيه :

١ - تنبيهان مهمان.

٢ - حكم الشيخ محمد الغزالي على القبوريين.

تنبيهان مهمان:

* **التنبيه الأول**: أن الأخطاء التي قد تحدث من بعض أتباع الدعوة السلفية، لا تلحق معرّتها بالشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوته، بل يُتبرأ منها، ولا يُبنى عليها حكم، فمعالم الدعوة وحقيقتها تؤخذ من أقوال الشيخ وكبار علماء الدعوة، لا من تصرفات الأتباع، الذين قد يكون فيهم الجاهل، والمتحمس.

وقد أخرج البخاري في صحيحه(١) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: بعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجلٍ منا أسيره، حتى إذا كان يومٌ أمر خالد أن يقتل كلُ رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجلٌ من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فذكرنا ذلك له، فرفع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين».

فالأخطاء تقع ممن هم أفضل من أتباع الدعوة، فتُرد، ولا تُتخذ

---

(١) برقم (٦٧٦٦).

مطعنًا في الحق.

وقد بيّن علماء الدعوة هذا الأمر.

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ في رده على أحد المناوئين، المُشنعين على الدعوة السلفية بسبب خطأ بعض أتباعها: (ثم لو فُرض أن هذا وقع من بعض أتباع الشيخ، أيُنسب الخطأ إليه، ويشنع به عليه؟ وقد أخطأ أسامة بن زيد، وأنكر عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطأه، ومن نسب خطأه إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان، وكذلك خالد بن الوليد قتل بني جذيمة بعد أن قالوا: «صبأنا» ولم يُحسنوا أن يقولوا: «أسلمنا»، فأنكر ذلك عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووداهم)[1].

وقال الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: (والذي يقضي به العجب: قلة إنصافهم، وفرط جورهم، واعتسافهم، وذلك أنهم لا يجدون زلة من المنتسبين إليه - أي الشيخ محمد -، ولا عثرة إلا نسبوها إليه، وجعلوا عارها راجعاً عليه، وهذا من تمام كرامته،

---

(١) مصباح الظلام (ص ٥٨٣).

وعظم قدره، وإمامته)(١).

* **التنبيه الثاني**: أن لُب الدعوة السلفية هو: التأكيد على صرف جميع أنواع العبادة؛ من الدعاء، والنذر، والذبح.. الخ، لله وحده لا شريك له؛ كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وغيرها من الآيات، فمَن صرف أي نوعٍ من أنواع العبادة لغير الله فهو مُشرك، وإن ادّعى الإسلام، وهذا هو الذي يُكفره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا هو أولى ما يُبدأ به عند النقاش مع المخالفين للدعوة، قبل الانجرار معهم إلى مسائل جانبية متفرعة عن مسألة التوحيد.

---

(١) الدرر السنية (١ / ٥١٥).

ومن تلبيس المخالفين: زعمهم أن الدعوة السلفية تُكفّر، وتحكم بالشرك على المسلم المتوسل! هكذا بإطلاق، دون أن يُفرقوا بين التوسل البدعي، الذي لا يَكفر صاحبه، و بين الاستغاثة الشركية التي هي دعاء الأموات، وهي شركٌ أكبر، وهي ما يفعله مخالفو الدعوة السلفية، وينافحون عن أهله.

ويهدف المناوئون من هذا الخلط إلى: تشويه الدعوة السلفية عند عموم المسلمين، بأنها تُكفّر المسلمين!

وقد تنبه علماء الدعوة قديمًا إلى هذا الخلط المتعمد، وبيّنوه.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: (اعلم أن التوسل بذات المخلوق أو بجاهه غير سؤاله ودعائه، فالتوسل بذاته أو بجاهه أن يقول: اللهم اغفر لي وارحمني، وأدخلني الجنة بنبيك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بجاه نبيك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحو ذلك، فهذا بدعة ليس شركًا.

وسؤاله ودعاؤه هو أن يقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة، وأنا في كربٍ شديد، فرّج عني، واستجرتُ بك من فلان فأجرني، ونحو ذلك، فهذا كفرٌ، وشركٌ أكبر، ينقل صاحبه من الملة؛ لأنه صرَف حق الله لغيره؛ لأن الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله، فمن دعاه فقد عبده، ومن عبد غير الله فقد أشرك، والأدلة على هذا أكثر من أن تُحصر.

وكثيرٌ من الناس لا يُميز ولا يُفرق بين التوسل بالمخلوق أو بجاهه، وبين دعائه وسؤاله، فافهم ذلك)[١].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ في رده على أحد مناوئي الدعوة السلفية، ممن زعموا أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُكفر من توسل بجاه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(موضوع الكلام: أن مراد الشيخ - محمد بن عبدالوهاب - مسألة التوسل في دعاء الله بجاه الصالحين، وهذه مسألة، ودعاء الصالح وقصده فيما لا يقدر عليه إلا الله مسألة أخرى، فخلطَهما ليروّج باطله، فقُبحا قُبحاً، وسُحقا سُحقاً، لمن ورث اليهود وحرّف الكلم عن مواضعه، وكلام الشيخ صريحٌ فيمن دعا مع الله إلهاً آخر في حاجاته وملماته، وقصَدَه بعباداته، فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ كحال مَن عبد عبدالقادر، أو أحمد البدوي، أو العيدروس، أو علياً، أو الحسين، ومع هذا الصنيع الفظيع والشرك الجلي يقول: أنا لا أشرك بالله شيئاً، وأشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله!! ظناً منهم أن ذلك هو الإسلام فقط،

---

(١) الدرر السنية (٩ / ٢٣٤).

وأنه ينجو به من الشرك وما رُتب عليه، فكشف الشيخ شبهته، وأدحض حجته، بما تقدم من الآيات: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام:١١٥].

وأما مسألة الله بحق أنبيائه وأوليائه أو بجاههم؛ بأن يقول السائل: اللهم إني أسألك بحق أنبيائك وأوليائك أو نحو هذا؛ فليس الكلام فيه، ولم يقل الشيخ إنه شرك، ولا له ذكرٌ في كلامه، وحكمُه عند أهل العلم معروف، وقد نص على المنع منه جمهور أهل العلم، بل ذكر الشيخ - ابن تيمية - في رده على ابن البكري: أنه لا يعلم قائلاً بجوازه إلا العز ابن عبد السلام في حق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يجزم - أي العز - بذلك، بل علّق القول به على ثبوت حديث الأعمى وصحته. وفيه من لا يُحتج به عند أهل الحديث، وعلى تسليم صحته؛ فليس الكلام فيه)[(١)].



(١) مصباح الظلام (ص ٢٨٤ – ٢٨٥).

حكم الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على القبوريين

قال في كتابه «عقيدة المسلم»(١) تحت مبحثٍ بعنوان: «توحيد العامة وما يعلوه من غبار» متحدثًا عن القبوريين في عصره، وهو ممن خبر حالهم، وجادلهم: (ينبغي لهذه الأمة أن تكون مثلاً عالياً في إسلام الوجه لله، وإفراده بالنية والعمل، بيد أننا نلحظ - آسفين - أن هناك مسالك شائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين، لها دلالتها الخطرة على فساد التفكير، وضلال الاتجاه، واضطراب المقصد.

ولا نحب أن نوارب في الكشف عن هذه العلة، فإن أي خللٍ في دعائم التوحيد معناه الخَبَل الذي يُدرك موطن القيادة الفكرية في هذا الدين الحنيف. إذ التوحيد في الإسلام حقيقة وعنوان، وساحة وأركان، وباعثٌ وهدف، ومبدأ ونهاية.

ولسنا -كذلك- ممن يُحب تصيّد التهم للناس، ورميهم بالشرك جزافاً، واستباحة حقوقهم ظلماً وعدواناً. ولكننا أمام تصرفاتٍ توجب علينا النظر الطويل، والنُصح الخالص، والمصارحة

---

(١) (ص ٦٦ – ٧٧ ط نهضة مصر).

بتعاليم الكتاب والسنة كلما وُجد عنها أدنى انحراف.

لقد اهتمت حكومة انجلترا - في سبيل مكافحة الشيوعية- بالحالة الدينية في مصر، فكان مما طمأنها على إيمان المصريين: أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا هذا العام!! والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لديّ، فطالما أُوفدت رسمياً لوعظهم، **فكنتُ أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط،** لا ما يستدعي الزجر بالكلام، وكثرتهم الساحقة لا تعرف عن فضائل الإسلام وأنظمته وآدابه شيئاً.

ولو دُعوا لواجبٍ ديني صحيح لفروا نافرين، وإن كانوا أسرع إلى الخُرافة من الفراش إلى النار!

وحسبك من معرفة حالهم: أنهم جاؤوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء!

ولمن النذور؟ ولمن الدعاء؟

إنه أول الأمر للسيد.

فإذا جادلتَ القوم، قالوا: إنه لله عن طريق السيد البدوي! وأكثر أولئك المغفلين لغطاً يقول لك: نحن نعرف الله جيداً، ونعرف أن أولياءه عبيده، وإنما نتقرب بهم إليه، فهم أطهر منا نفساً وأعلى درجة.

وهذا الكلام -على فرض مطابقته لواقع القوم- غلط في الإسلام؛ فإن الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا أن نجيء معنا بالآخرين ليحملوا عنا حسناتنا، أو ليستغفروا لنا زلاتنا.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، بل المعروف من بديهيات الإسلام الأولى، أن الطلب ووسيلته جميعاً، يجب أن يكونا من الله.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»(١).

أليس من المضحك أن نستنجد بقومٍ يطلبون لأنفسهم النجدة، وأن نتوسل بمن يطلب هو كل وسيلة ليستفيد خيراً أو يستدفع شراً؟!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧].

إن المسلمين لما طال عليهم الأمد نسوا الحق، والمرء قد يُعذر إذا ذهل عن شأنٍ تافه، أو فاته استصحابُ شيءٍ هين، أما أن يذهل عن كيانه وإيمانه فهنا الطامة.

---

(١) صحيح الترمذي (٢٥١٦).

وأحسب أن القرآن الكريم كان يقصد إلى التنديد بهـذا اللـون من إفساد التوحيد عندما قال: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ... ﴾ [الفرقان:١٧-١٨].

أجل! لقد نسوا الذكر، وما قام عليه الذكر من توحيد شامل. وليس يغني في الدفاع عن أولئك الجهلة من العوام أنهم يعرفون الله، ويعرفون أنه وحده مجيبُ كل سؤال، وباعثُ كل فضل، وأن مَن دونه لا يملكون من ذلك شيئاً.

فإن هذه المعرفة لا تصلح ولا تُقبل إلا إذا صحبها إفرادُ الله بالدعاء والتوجه، والإخلاص، فإن المشركين القدماء كانوا يعرفون الله كذلك.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٣١].

ومع أنهم يقولون «الله» بصراحة وجلاء، فلم يُحسبوا بهذا القول مؤمنين؛ لأن الإيمان -إذا عرفتَ الله حقاً- ألاّ تعرف غيره فيما هو من شؤونه.

ولذلك يستطرد القرآن في مخاطبة هؤلاء: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٣١-٣٣].

إن العامة عندما يشدون الرحال إلى قبورٍ تضم رفات بعض الناس، وعندما يُهرعون بالنذور والحاجات والأدعية إلى من يظنونهم أبواباً لله، إنما يرتكبون في حق الإسلام مآثم شنيعة.

ومهما قلبنا عملهم هذا من جميع وجوهه فلن نجد فيه ما يطمئن إليه ضمير المؤمن أبداً. ومحبة الصالحين وبغض الفاسدين من شعائر الإسلام حقاً.

ومظاهر الحب والبغض معروفة.. هي مصادقة للأحياء أو منافرة، واستغفار للموتى أو لعنة. وأين من عواطف الحب والبغض هذا الذي يصطنعه المسلمون اليوم؟!

إن الواحد منهم قد يصادق أفسق الناس، وقد يقطع والديه -وهما أحياء- ثم تراه مُشَمِّراً مُجِداً في الذهاب إلى قبر من قبور الصالحين؛ لا ليدعو له، ويطلب من الله أن يرحم ساكن هذا القبر، بل ليسأل صاحب القبر من حاجات الدنيا والآخرة ما هو مضطر إليه، وذلك ضلال مبين!

وبناء المعابد على قبور الصالحين تقليدٌ قديم، وقد ذكر القرآن ما يدل على شيوعه في الأمم السابقة. وفي قصة أهل الكهف تسمع قوله عز وجل: ﴿فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف:٢١].

ويظهر أن اتخاذ المساجد على القبور كبناء التماثيل، لم يكن محظوراً أول أمره، إذ لم تكن له دلالة مثيرة. غير أن البشر سفهوا أنفسهم، فالأحجار التي نحتوها للعظماء عبدوها، أو -على حد تعبيرهم- اتخذوها إلى الله زلفى.

والمعابد التي أقاموها على قبور الصالحين قدّسوها وسلكوها مسلك الأصنام في الشرك. فلما جاء الإسلام أعلن على هذين المظهرين من مظاهر الوثنية حرباً شعواء، وشدد تشديداً ظاهراً في محق هذه المساخر المنافقة.

وقد رأينا كيف أنّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أرسل عليَّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وأمره أن يسوي بالأرض كلَّ قبر، وأن يهدم كلَّ صنم[١]، فجعل الأضرحة العالية والأصنام المنصوبة سواء في الضلالة. وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في البيان عن سفاهة القدامى

---

(١) صحيح مسلم (١٦١٥).

وفي التحذير من متابعتهم: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا لا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن هذا**»(١). وكان يرفع الخُمرة عن وجهه في مرض الموت ويُكرر هذا المعنى، وكأنه توجس شرًّا مما يقع به، فدعا الله: «**اللهم لا تجعل قبري من بعدي وثنًا يعبد**»(٢).

ومع كثرة الدلائل التي انتصبت في الإسلام دون الوقوع في هذا المحظور، فقد أقبل المسلمون على بناء المساجد فوق قبور الصالحين، وتنافسوا في تشييد الأضرحة، حتى أصبحت تبنى على أسماء لا مسميات لها، بل قد بُنيت على ألواح الخشب وجثث الحيوانات، ومع ذلك فهي مزارات مشهورة معمورة، تُقصد لتفريج الكرَب، وشفاء المرضى، وتهوين الصّعاب! وأحبّ ألا أثير فتنة عمياء بهدم هذه الأضرحة؛ فإنّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امتنع عن هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم؛ لأنّ العرب كانوا حديثي عهد بشرك، وجماهير العامة الآن ينبغي أن تُساق

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٢ / ٣١٤)، وصححه الألباني في تحذير الساجد (ص ٢٤).

سوقًا رفيقًا إلى حقائق الإسلام[١]، حتى تنصرف في هدوء عن التوجه إلى هذه الأضرحة، وشدّ الرّحال إلى ما بها من جثث، وإخلاص المعلم وأسلوبه في الدعوة عليهما معوّل كبير في تمحيص العقيدة ممّا علق بها من شوائب وعلل، وقد تكون لدى بعضهم شُبه في معنى التوسل، فلنُفهم أولئك القاصرين أنّ التوسل في دين الله إنما هو بالإيمان الحق والعمل الصالح، وقد جاء في السنة: «**اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا هو، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد**»[٢]، فهذا توسلٌ بالإيمان بذات الله. وجاء كذلك توسّل بالعمل الصالح في حديث الثلاثة الذين آواهم الغار. وجاء توسلٌ بمعنى دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب، ودعاء المسلم للمسلم مطلوب على أية حال.

ولا نعرف في كتاب الله ولا في سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توسلاً بالأشخاص مهما علت منزلتهم - سواء أكانوا أحياء أو أمواتًا - على هذا النحو **الذي أطبق عليه العامة** وحسبوه من صميم

---

(١) ومع هذا فواجب ولاة أمور المسلمين - إن كانوا يريدون الخير لهم ولأمتهم - أن يُبادروا بتوعية المسلمين بحُرمة هذا العمل، ثم هدم هذه القباب التي يُشرك عندها بالله.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

الدين، ودافعوا عنه بحرارة وعنف ضد المنكرين والمُستغربين(١).

* حول توحيد العامّة جاءتني رسالة كريمة الأسلوب، حسنة الجدال، من طالب أديب يذكر فيها حجج القائلين بالوسيلة، وفسرها على النحو الآتي:

١- جمهور الناس عصاة، والله إنّما يتقبّل من المتّقين، فلو ذهب الإنسان إلى ربه وهو موقّر بالسيّئات، لم يُجب له سؤالاً، ولم يُسق له فضلاً. ومن ثمّ فعلى الإنسان أن يبحث عن وساطة مقبولة، كوليٍ صالح مثلاً.

٢- لا يسوغ القول بأنّ هذا شرك، لأنّ النية هي الحكم على الأعمال، والمتوسّلون لم ينووا شركًا أو يرضوا به.

٣- الصّحابة والفقهاء والأئمّة جميعًا كانوا يتوسّلون إلى الله بالأنبياء والأولياء. وقد توسّل عمر بالعباس عمّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- يتساءل الكاتب عن قول الله في جدار الغلامين اليتيمين ﴿وَكَانَ

---

(١) مع التنبه إلى تلبيس دعاة الأموات في تسميتهم الاستغاثة الشركية: توسلاً، والاحتجاج بما جاء في الثاني على الأول! كما سبق، وكما سيأتي في كلام مَن اعترض على الشيخ الغزالي.

أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف:٨٢]، أليس في ذلك ما يفيد أنّ بركة الأموات تتعدّى إلى الأحياء؟ وفي قوله لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ ...﴾ [النساء:٦٤] أليس في الآية ما ينصّ على التوسل؟

وجاءتنا رسالة من أزهري يقول: إنّ أحد العلماء الرّسميين يقول: إنّ التوسل بأصحاب القبور واجب! فإنّ لصاحب القبر تأثيرًا أقوى من تأثير الحيّ، ولا حرج في ذلك، ما دام المتوسّل يعتقد أنّ الله هو الفاعل، ويقول: إنّ الآيات التي استشهدنا بها على نفي هذه المزاعم نزلت في المشركين خاصّة، وأنّ الرسول أمر الأعمى أن يتوسّل به إلى الله، فردّ الله عليه بصره...إلخ.

هذه هي جملة الشّبه التي تعلّق بها طائفة من النّاس، وبنوا عليها مسالك طائشة، عكرت رونق التوحيد الخالص، وردّت كثيرًا من المسلمين إلى جاهلية طامسة مُهلكة، ونحن نغالب السآمة التي تعترينا كلما خضنا في هذا الحديث، أو سطّرنا فيه حرفًا، فإنّ الجدل فيه طال، مع وضوح الحق، واستبانة النهج، ولم يبقَ إلا أن يُحمل الناس حملاً.

وإليك البيان الحاسم لما سبق سرده من شبهات :

- فأما أنّ العاصي ليس له اللجوء إلى الله مباشرة، وأنّه أولى به أن يستصحب أحد المقربين قبل مناجاة رب العالمين، فكلام لا أصل له في الإسلام قط! إن إبليس دعا ربه مباشرة وأجيب..!!: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر: ٣٠-٣٨].

والمشركون دعو الله مباشرة، وأجيبوا: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣]، فهل عصاة المسلمين يُحرمون من حقٍ أخذه إبليس وجنوده؟!

إنّ أيّ مسلم يقع في خطأ، فعليه أن يجأر بالدعاء إلى الله على عجل، من غير توسيط نبيّ، ولا وليّ، ولا إنسان، ولا شيطان: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ثمّ إنّ الرّجل إذا كان بحالةٍ لا يُقبل منه دعاء معها، فلن يُقبل فيه دعاء غيره له، ولو كان الداعي سيد الأنبياء. ألا ترى كيف رُفض استغفار الرّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن أبي؟

فأما المسلم المعتاد، فله - بل عليه - أن يدعو الله، ولا ينظر في هذا الضرب من العبادة إلى مخلوق أبدًا... وصحيح أنّ إجابة الدعاء تقتضي الإخلاص والتقوى، ولكن ما صلة ذلك بما نحن فيه؟ أتظنّ أنّ الرجل إذا فقد الحرارة والصّدق والتُقى يذهب إلى ميت أو حي ليجد لديه العِوض عما فقده؟ هذا زعمٌ باطل، وليس في دين الله ما يؤيده، بل إنّ دين الله ضدّه .

- والقول بأنّ العمل لا يُنظر إليه، وإنما تُعتبر النية المصاحبة له، غير صحيح، فالعمل المقبول- دينًا - يجب أن تتوافر فيه أولاً: النية الصالحة، وثانيًا: الصّورة المشروعة. وفقدان العمل لأحد هذين الركنين يُبطله .فالعمل المتفق ظاهره مع الشّرع إذا كان صاحبه مرائيًا أو منافقًا يحبط أجره. والقصد الصّالح إذا لم يجرِ في طريقه الذي رسمه الدين فلا قيمة له، ولا يُلتفت إليه، والتشريعات الوضعية لا تكترث بحسن النية عند ارتكاب محظور، وترى أن الجهل بالقانون لا يمنع من تطبيق القانون، وذلك سدًّا للاحتيال وحماية للحقيقة. فهل يكون دين الله أنزل من هذه التشريعات؟

ولماذا نستحي من وصف القبوريين بالشرك؟[١]

(١) رحم الله الشيخ، حيث لم يُجاملهم، كما فعل غيره - للأسف -، وهذا =

مع أنّ الرّسول وصف المرائين به؛ فقال: «**الرياء شرك**»[(١)]. إن واجب العالم المسلم أن يرمق هذه التوسلات النابية باستنكار، ويبذل جهده في تعليم ذويها طريق الحق، لا أن يُفرغ وسعه في التمحل والاعتذار!

ولست ممن يُحب تكفير الناس بأوهى الأسباب، ولكن حرام أن ندع الجهل يفتك بالعقائد ونحن شهود. أي جريمة يرتكبها الطبيب إذا طمأن المريض ومنَع عنه الدواء، وأوهمه أنه سليم معافى؟ إن ذلك لا يجوز.

- أمّا القول بأنّ الصحابة كانوا يتوسلون إلى الله بأشخاص الأحياء أو الأموات؛ فمنكرٌ قبيح، وما يروى من شعر منسوب إلى الإمام الشافعي فمنحول لا أصل له.

وقد ذكرنا نحن أنّ دعاء الإنسان لنفسه ولغيره مطلوب. وقد جاء ذلك في القرآن على لسان النبيين والصالحين، فمن دعاء إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾

=

واجب العلماء: أن يصدعوا بالحق، ويجتهدوا في علاج المنكرات، مبتدئين بما يُخل منها بالتوحيد.

(١) الحديث: «**إن أدنى الرياء شرك**». «السلسلة الضعيفة»؛ للألباني (٦/ ٥٤٥).

[إبراهيم:٤١]، ومن أدعية نوح: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [نوح:٢٨]، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

وقد أمرنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو بعضنا لبعض بظهر الغيب. ومن هذا القبيل، وفي حدود تلك الدائرة من استعطاف العبيد لله، وتواصيهم باسترحامه واستغاثته، طلب عمر من العباس أن يدعو الله للمسلمين، فدعا العباس، وكان المسلمون حوله يؤمّنون.

وبَيَّنَ الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس فقال: إنّ العباس لما استسقى به عمر قال: «اللهم، لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يُكشف إلا بتوبة، وقد توجّه بي القوم إليك بمكاني من نبيك، وهذه أيدينا بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث»[1].

وليس ذلك مقصورًا على أن يدعو من نتوسّم فيهم الصلاح لمن نظنّ بهم التقصير، فهذا خطأ، بل الأمر أعم. وقد طلب رسول الله

(١) يُنظر - للمزيد عن توسل العباس-: رسالة «التوسل أنواعه وأحكامه»؛ للألباني - رحمه الله -، وهي موجودة على شبكة الإنترنت.

من عمر أن يدعو له. وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام جمهور الأمة أن يدعوا له. أولسنا نصلي عليه كما أمر الله؟ فما صلة ذلك بالتوسل على هذا النحو المجنون الذي سقط فيه العامة، وجاراهم عليه الكسالى والمرتزقة والقاصرون من أدعياء العلم؟!

- ولست أدرى ما علاقة التوسّل بالآية الكريمة: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]! إنّ الآية تفيد أنّ صلاح الآباء يمتدّ نفعه إلى الذرية، كما أنّ فسادهم ينتقل خطره إليها، ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٩]، فالصّالحون بعد موتهم قد يظهر في أعقابهم أثرُ من بركة استقامتهم. ونقول: «قد»؛ لأنّ للوراثة قوانين سنّها رب الوجود الأعلى، ولا تُعرف بالضبط اتجاهاتها. وقد كان إبراهيم من نسل رجلٍ كافر، وكان لنوح ابنٌ عنيد الضلال، والله يقول في ذرية نوح وإبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات:١١٣]، ومن المنتسبين إلى الأسرة النبوية في هذا العصر من أساءوا إلى الإسلام والعروبة أشنع الإساءة.

فإذا كان السائل يقصد أن هؤلاء هم أصنام العصر الحديث الذين يتوسل بهم المتوسّلون، فقد كفرنا بهم وآمنا بالله وحده! إنّ الحسين لم يدفع عن نفسه وهو حي، فكيف يدفع عن غيره وهو ميت؟!

- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ [النساء: ٦٤] ليس يدل تصريحًا ولا تلميحًا إلى جواز التوسل، والآية ناطقة بأنّ المجيء للظفر باستغفار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بداهة في أثناء الحياة لا بعد الموت.

وللصّوفية شطحات في هذا الموضع، إن صدَقوا فيها، فهي أحوال توقف عليهم، وليس لدين الله بها شأن.

ومصادر التشريع معروفة، ولم نعرف من مصادر التشريع أن فلانًا الصالح رأى في منامه كذا وكذا، أو أن فلانًا المجذوب خُيل إليه في أثناء زيارته للروضة النبوية كيت كيت.

ولقد كان ابن عمر - لما فاض قلبه من حبّ الرّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتصرف تصرفات خاصة، فكان في سفره ينزل حيث نزل الرسول، ويقعد حيث قضى حاجته، ولو لم تكن له حاجة. واعتبر العلماء هذا كلّه عاطفة لابن عمر وحده لا يُلزم بها

أحد، ولا تُوصف بأنها شرع.

فإذا كان بعض الناس يحكي أمورًا عن مجيئه للرّسول في قبره، وأنّه سلم فسمع الرد ثم حظي بتقبيل اليد! فهو بين حالتين: إما أن يكون كاذبًا فلا قيمة لكلامه. وإما أن يكون مجذوبًا تخيل فخال، ولا قيمة لكلامه كذلك... ونحن لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لهذه الحكايات .

- أمّا ذلك الذي يوجب التوسل ويرى أنّ تأثير الميّت أقوى من الحي، فهو رجل مخبول! **وزعمه بانتفاء الشرك ما دام الاعتقاد أن الفاعل هو الله: كلام فارغ**[1]. وقد أبنا أن المشركين القدماء كانوا يعرفون أنّ الفاعل هو الله، وأنّ توسّلهم كان من باب: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وأنّ ندمهم يوم القيامة إنّما هو على تسويتهم المخلوق بالخالق: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، وهناك عشرات

(١) هذه أهم شبهة للقبوريين، وهي التي أوردتهم المهالك. وقد أجاب أهل السنة عن هذا الكلام الفارغ، وفندوه في ردودهم الكثيرة على دعاة القبورية. انظر مثلاً: رسالة «الشرك في القديم والحديث»؛ للدكتور أبو بكر محمد زكريا - وفقه الله -، وهي موجودة على شبكة الإنترنت.

الآيات تؤكد هذا المعنى .

سيقول بعض النّاس: إنّ القدماء كانوا يعبدون، أما عوام اليوم فهم يدعون ويسألون فقط، وشتان بين عباده الجاهلين وتوسل المحدثين بأولياء الله.

ونقول: هذه مغالطة، فالسؤال والدعاء - بنص القرآن والسنة - عبادة محضة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وفي الحديث: «**الدعاء مخ العبادة**»(١). فلماذا نتوجّه إلى البشر بما هو من خصائص الألوهية؟

وإذا وقع الجُهال في تلك الخطايا بغباوتهم، فلماذا لا نسارع إلى إنقاذهم منها، بدل تزوير الفتاوى؟!

- وقد تُذكر في هذا المجال قصّة الأعمى الذي توسل إلى الله بنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليرد إليه بصره، ومع أن القياس - مع الفارق لو صحت القصة - فهذا الأعمى دعا الله، وأولئك الحمقى يدعون

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١)، وهو ضعيف، يُغني عنه الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي - أيضًا - (٣٣٧٢): «الدعاء هو العبادة».

غيره! إلا أن القصة نفسها ليست من قسم الحديث الصحيح[١].
والاحتجاج بالآثار الضعيفة في العقائد والأحكام لا يُقبل من صاحبه، ومثل هذه الرواية قد تروج عند الوعظ بفضائل الأعمال.

- وآيات القرآن يُنظر فيها إلى عموم اللفظ لا إلى خصوص السبب. وقد حرّم الله الشرك على العرب، فهو على غيرهم حرام. فالقول بأن الآيات نزلت في أهل الجاهلية وحدهم؛ جهالة لا نأبه لقائلها، ولا نُقيم لها اعتبارًا .رزقنا الله صدق التوحيد، وأحيانا وأماتنا عليه .

جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور، وأن تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟ ثم تلا: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]»[٢]. يعني أنّ إخلاص التوحيد يقتضي محبّة العدل وكراهية الظلم .فإذا أحب الإنسان جائرًا، وكره

(١) تُنظر رسالة: «التوسل أنواعه وأحكامه»؛ للألباني - رحمه الله - للحديث عن قصة الأعمى: روايةً ودراية.

(٢) ضعيف الترغيب والترهيب (١٧٨٧)، وضعيف الجامع (٣٤٣٢)؛ للألباني.

عادلاً، فقد أشرك، فإذا كان حسّ الإسلام مرهفًا إلى هـذا الحـد في تمحيص القلوب ونقد اتجاهاتها الخاطئة، فكيف يـسوغ أن نـأتي إلى رجل يجأر بالدعاء لغير الله، ويخاف ويرجو غير الله، ثم نقول له: لا بأس عليك؟!

إنّ موقف العالم المسلم في هذه القضية ليس موقـف المحـامي الذي يدافع عن المجرم، فيقف ساعة أو أكثر ليُزيف التهمة ويؤول القانون! بل موقف الذائد عن معالم الإسلام. فإذا كـان لا يُعاقـب المتهم ؛لأنه جاهل – كما يقولون –، فليُعلّمـه ديـن الله، ولا يتركـه نهبًا للشياطين).



الفهرس

الموضوع الصفحة

